النزهة بين شرائح اللهب

شعر: نشأت المصرى



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٧٩

تقـــديم

بقلم الدكتور عبد العزيز شرف

السؤال الذى يواجه حركة التجديد فى الشعر هو :

كيف يمكن للشاعر التوفيق بين حريته فى التماس الأشكال والأساليب الجديدة للتعبير الفنى ، وحقه فى نقد الأخطاء المتصلة بالناس والمجتمع ؟ يقول سبينوزا : إن الحرية ضرورة لازمة ، ولكن هذه الحرية ترتبط بالتضامن الاجتماعى عندما تنضاف فى الشاعر العظيم « أنا اجتماعية » إلى « الأنا الفردية » . وتعهد هذه « الأنا الاجتماعية » هو الاساس فى التزامنا تجاه المجتمع ، كما يذهب إلى ذلك برجسون . فلولاوجود شىء من المجتمع فينا ، لما كان له علينا أى سلطان . وكونه حاضرا فينا يجعلنا فى غنى عن الاتجاه إليه ، فنكتفى بأنفسنا . ولئن كان حضوره هذا متفاوتا بحسب الأفراد ، فليس بيننا من يستطيع أن ينعزل عنه انعزالا مطلقا ، وليس بيننا من يرغب فى هذا الانعزال ، لأنه يشعر أن القسم الأعظم من قوته إنما يستمده منه ، وإنه مدين إلى المطالب التى تقتضيها الحياة الاجتماعية باستمرار التوتر فى قدرته ودوام الاتجاه فى مجهوده ، مما يضمن لنشاطه أكبر إنتاج ممكن » .

وفى تقديرنا أن ازدهار حركة التجديد فى الشعر العربى الحديث إنما ترجع إلى مواجهة شعرائنا لهذه المعادلة الصعبة فى التوفيق بين حرية التماس الأشكال الجديدة للتعبير الفنى ونقد الأخطاء المتصلة بالناس والمجتمع .

وإذا كان الكثيرون من وراء حركة التجديد فى الشعر الحديث قد أوشكوا على الانطفاء ، فان مرجع ذلك إلى أنهم فشلوا فى مواجهة هذه المعادلة ، التى استطاع الجيل الجديد أن يواجهها بشجاعة وجرأة نادرتين ، من هؤلاء الشعراء : نشأت المصرى ، الذى أدرك منذ البداية أن البحث عن الأشكال الجديدة فى بناء القصيدة العربية قانون داخلى لابد منه من أجل تطور الفن . فأصبح تعبير نشأت المصرى عن المضمون يتم من خلال الشكل وفى إطاره ، ذلك أن الشكل الفنى ليس مجرد « تكنيك » أو « قوقعة » مغلقه على نفسها ، ولذلك نجد أن التجربة تتحول إلى عمل إبداعى .

وفى تقديرنا أن شعراء الجيل الجديد قد تمثلوا جهود الرواد فى شعرنا العربى وفى الشعر العالمى على حد سواء ، حيث بدأ البحث عن شكل جديد للشعر العالمى يشق طريقه فى الربع الأول لهذا القرن ، فلورنس يذهب إلى حد انكار أن تكون موسيقى الشعر معتمدة على الأذن وحدها ، وإنما تعتمد على كيان النفس الحساسة كله . ولم ينشد عزرا باوند فى مذهبه « الصورى » إيقاعا فى الشعر بتاتا وإنما أراده مجرد صور محسوسة فى أبيات يفترض فيها أن تكون

على نسق عبارة ذات نغمة . ويذهب اليوت إلى أن تسمية « الشعر الحر » تسمية خاطئة ، ذلك لأنه « ما من شعر يمكن أن يكون حراً لدى من يريد أن يحقق فيه الاتقان » ، ويعلق أن الحرية لن تكون أبدا هروبا من الوزن فى الشعر وإنما هى السيطرة عليه وإتقانه .

وقد عبر عن ذلك بقوله : « وراء أشد الشعر تحررا يجب أن يكمن شبح وزن بسيط إذا غفونا برز نحونا متوعدا . وإذا صحونا اختفى . ولا تكون حريتنا حرية حقيقية إلا عندما تظهر إزاء قيود مصطنعة » .

وفى شعرنا العربى الحديث ثار نقاش حاد حول القافية إلى جانب ما ثار حول مسألة الغاء» العروض الخليلى . نجد أثار هذا الفكر الجديد حول الشعر لدى عبد الرحمن شكرى والمازنى : فاستخدمنا القوافى المرسلة والمزدوجة والمتقابلة . ورأى العقاد أن هذا التنوع فى القافية ليس هو غاية المنظور من وراء تعديل الأوزان والقوافى وتنقيحها ولكنه يعده بمثابة تهيىء لاستقبال المذهب الجديد .

وقد تمثل جيل نشأت المصرى مما ذهب إليه الجيل الرائد من أمثال البياتى من إدخال أنغام جديدة إلى اللغة العربية. ومن بحث عن شكل جديد يعطى حرية أوسع للشاعر ، ويخفف من القيود الشكلية التى تعطل انطلاقه .

ومن جهة أخرى فان ارتباط الموسيقى الشعرية بنوعية ومدى التجربة الشعرية كان دافعا أساسيا إلى البحث عن إيقاع موسيقى

خارجى يتسع مع إيقاع التجربة الجديدة . يقول البياتى فى تحديد أبعاد التجديد : « كان لا بد وأن تختفى هذه الثنائية الكامنة فى القصيدة الكلاسيكية الحديثة حتى تصبح موسيقى الشعر جزءاً عضويا مكملا للتجربة الشعرية نفسهاوبعداً ثالثا يحمل نفس ملامح ايقاعها النفسى وأساسها الفكرى والوجدانى » .

من خلال هذه الرؤيا التجديدية للشعر ، استطاع نشأت المصرى أن يجدد فى شكل القصيدة العربية ، فتمتاز قصيدته بالادراك العميق لدور الكلمات والقافية فى الشكل الجديد :

عيـونك تشخص عـــبر الحصى
تستريح عليــه دمــوع المساكين
يجتر ما خبـأته لغــات الســكون
ويستر جذوة حب تجاهلت الخيل أعراسها
عيونك تضغط بوابة القصر
ترهق أســواره المشرعات
فماذا عساك رأيت ؟
— رأيت فلول الغوانى يجددن سيقانهن
ويدهن بالمسك أدرانهن

* * *

وفى قاع مدفأة العاشقين احتضار كلام قديم

« أتعبت البغل .. أرحه ثلاثة أيام ،

لينام وينعم بالأحلام » .

* * *

ولأن الشاعر قد واجه المعادلة الصعبة فى التجديد الشعرى ، فإنه حين يريد الانعزال لا يستطيع أن يبلغه بحال ، كما رأينا فى « أحزان أبى حفص » لأن ذاكرته وخياله يعيشان مما سكبه فيهما المجتمع ، ولأن روح المجتمع كامنة فى اللغة التى يتكلم على حد تعبير برجسون فهو حتى فى وحدته ، وحين يقتصر على التفكير يخاطب نفسه ويتحدث إليها . يقول الشاعر فى « بطاقة إلى ابن الخطاب » :

نجدف فى بحار الأمس – نرجو خازن الماضى

لنحيا رعدة المقتل

يفيق الخنجر الملتاث ، يندى حده صدأ

تساوم كي تؤوب معاً

تقود يداك أيدينا ، ونهل مثلما تنهل

وتسبق عامنا المقبل

إلى أن يقول فى البدايات المنتهية :

أن نملك الخبز مع المهاره

نروض الأوقات والمسافه

فتذهل الرياح خلفنا بشاره

وا أسفا : وصولنا لحافة المغادره

فلأفق حولنا استداره

وآخرون يمرقون حافراً وراء حافر

لانعرف الذى عرفناه « وكيف ؟ » طلسم وحيله

فالحب عملة فى الكون مستحيله

والشمس تطلع اضطراراً

فالشاعر من الناحية المـــادية ظلت أحزانه فى أبى حفص وفى البدايات المتهيئة على صلة بالناس فضلا عن الاتصال النفسى بالحياة من حوله الذى تشعه الكلمات .

ولعل فى هذا الفهم أن يوضح لمـــاذا أهدى نشأت المصرى قصيدة « فايتون يتحدث » إلى الشاعر الاسكتلندى الكسندر سكوت رداً على قصيدة غنائية الجمال أو « سيدة العالم » التى تمجد اسرائيل » فالشاعر على اتصال بقومه ، يراهم واقفين على قمة جبل شامخ من القرون الطويلة الغنية بالثقافة العريقة المتعددة الجوانب وبما قدموه للعالم من أسس حضارية ليس فى المقدور إنكارها .

وهو لذلك يتخذ من « فايتون » رمزاً يجسد به « إسرائيل » التى مجدها الكسندر سكوت ، وفايتون هذا هو الابن غير الشرعى للرب أبوللو فى الأساطير الإغريقية — عاش شريداً ومحتقراً حتى

سمح له أبوللو بقيادة مركبة الشمس فكاد يدمر العالم فقتله — رب الأرباب زيوس . يقول نشأت المصرى

ستسجل مركبتى آخر يوم فى عمر الكون

صدقاً . . لا أهتم

لكن . . إياكم

أحرقت أنا كتب التاريخ لكى لايقرأ فارسكم"،

. . أن « زيوس » أباح دمائى حتى تشرق شمس الغد :

. . حتى يزهر فوق الشاطىء حب يمتد و يمتد : :

فأنا أكره لون الحب وأرعى جنيات الرعد

وأنا أحلم بالكون . . بقاع النار الطوفان

وأنا « يام » القرن العشرين

. . لكن . . فى بحر مجنون

لا يعرف إلا لغتى

وتمتاز القصيدة فى شعر نشأت المصرى بصيغة بنائية تجعل منها نشاطاً خلاقاً أو قدرة إبداعية . بحيث يمكن القول أن قصيدته تشمل على « الإنسان مضافاً إلى الطبيعة » على حد تعبير بيكون . فالشاعر فى قصيدة « نقوش جرح فى وجه الزمن » مثلا يستلهم المأثور الشعبى ، على نحو يجعلنا ونحن نقرأ نتذكر ما عناه ريمون باير حين قال : « ان فى الفن مساراً سحرياً آنياً أو (مساراً

يريد أن يكون كذلك) ، ألا وهو ذلك الذى نلمحه لدى كبار الرسامين حيث نرى انتقالا عجيباً يتم كالسحر من الموضوع إلى العين ، ومن العين إلى القلم » :

آخر همس
قبل ذهابى فى أوراق مفكرتك
ألحظ وجنات الأفق الخجلى
تنتظر الخبز لمن لا يملك حقلا
ترجو علماً أعلى
وبراقاً من فولاذ
فالقمر تساءل أسيانا
كيف الزائر كان سوانا . .

• • •

وهكذا يمكن القول إن الشعر عند نشأت المصرى أسلوب بشرى فى خلق عالم يتميز بقدرة إبداعية يستقدم الشاعر بمقتضاها مخلوقات جديدة إلى عالم الوجود . وربما كانت الميزة الرئيسية فى قصيدة نشأت المصرى هى أنه يقدم لنا مجموعة كبيرة من المعانى التى تشهد بما يتسم به من عمق وغزارة فى المعنى . ولكنه حين يفعل ذلك إنما يكون أشبه « بالكيماوى الساحر الذى اهتدى أخيراً إلى السر فى صناعة الذهب — على حد تعبير مالرو — الذى يقول أيضاً — ان الفنان ليس من العالم بمثابة الناسخ أو الناقل ، بل هو منه بمثابة المتنافس أو الخصم المناضل » .

د . عبد العزيز شرف

من أحزان أبى حفص (*)

شرائع :

عيـونُك تشخص عبر الحصى تسْريح عليه دموعُ المساكين
يجتر ما خبأته لغاتُ السكون
ويستر جذوة حُب تجاهلت الخيل أعراسها
عيونك تضغط بوابة القصر
ترهقُ أسوارَه المشرعات
فماذا عساك رأيت ؟
– رأيت فلولَ الغوانى يُجَددن سيقانهن
ويدهن بالمسكِ أدرانهن

* * *

وفى قاع مدفأة العاشقين احتضار َكلام قديم
« أتعبتَ البغلَ .. أَرِحْهُ ثلاثةَ أيام ،
لينام وينعم بالأحلام »

* * *

(*) خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز .

نشيد الأحزان :

أقاتل حزنى

ليفترش القلب حـــزن جديد

فحزنى زنيم يكبل وجه الرحيق الوليد

وصدرى مغارة عصف البلى

أقاتل حزنى لأصبح دمعة عينيك خلسه

وحزنك ينسج فوق الجراح الورود

فينبجس الجرح عطراً

وينتبه الحب بين الجذوع فيطرح تمراً وبشراً

* * *

العائد والعيد :

وتلفح آهات ليلك صمتى ، وأنت تفتش بين الصدور عن الخاطر الحى ، تنقده حزنك العبقرى وترفعه من ثنايا العناكب . . تمسح عنه طحالب مجدورة بالوعود وأضغاث معبودتى شهر زاد .

. . تصفق أجنحة الفجر أنْ شاع فينا جحيم تَبَالتك المستعاد وترتجف الريح عند مشارفنا تسأل الخاطر الحى إن عاد من أى فج تيت ؟ وكيف عبرت لصوصاً من الحان ، تُجهِض من رَحِمِ الضوء ضوءاً بعيداً .

وأذكر أنك أهديتنا من حقولك أغلى شجيرة حزن على متن

أوراقها الكلمة الكنز (رحمه) ومعذرة أيها اللغز (رحمه) . .
خلت من معانيك كل القواميس . . أفتوا بأنك شيء من السحر .
واختير يوم اغتيالك عيداً .

• • •

الفصل قبل الأخير :

ثلاثون شهرا وأنت تمارس طقس الفلاحة ، تزرع في كل
ثانية بسمة تنمي على أوجه القوم ، ترسم في الطين جنة
ثلاثون شهراً . .

وأنت الذى تشترى الحزن بالبت ، باللقمه المشتهاة ، بزاد
الأجنة

وأنت الذى يشترى الخوف بالسهد ، والموت بالصفح ،
يسقط عند رؤاك الحلك

وأصبحت هذا الحزين الوحيد ببحر الضحك

وقد كان ما شئت لك . .

فيحتضن الشاة ذئب . . ، ويرثيك جن ويأسى ملك

. . هنيئاً لك السم يا عاشقا للفداء . .

دماؤك للآخرين طريقان . . فوق التراب ، وفوق السحاب

وينفضّ سامرك المستطاب

يعود شراب الملوك عصير العيون العطاش ،
وتحلم أمعاؤهم بالأحبه
وللسوق فخذان بينهما تماوج رغبه
وتسكن فوق الصدور طيور الحــداد
وحزنك لا يجد القلب فينا فيهرب منا إليك
فأين رداؤك ، ننشره راية فى محيط الجنون على جثة الزمن المستباحه
. . . أتبكى وعيناك فوق السطور الذبيحة . .
لأنى أجيد الكلام ولست أجيد الفلاحة
رداؤك قلع لمـــا فات . . أعرف
وجنتاك امتشقتها الصحارى ، وأحرفك اليوم تنزف
وأعرف أنك لست تجيء
وكعكة « سوف » التى أشبعت جوعنا
نغنى لها فى الصباح ونجدل ألحاننا فى المساء
وأنت — على أحسن الظن — نادرة فى كتاب
وحينا — ويا خجلى — نكتة فى ليالى الصحاب
وفى قاع مدفأة العاشقين رماد نداء :
(تثقل بالأموال خزائننا . . أين الفقراء ؟ !!)

(١٩٧٨)

البدايات المنتهية

١ ـ بطاقة الى ابن الخطاب :

نجدف فى بحار الأمس ـ نرجو خازن الماضى
لنحيا رِعدة المقتل
يفيق الخنجر الملتاث ، يندى حده صدأ
نساوم كى نؤوب معاً
تقود يداك أيدينا ، ونهل مثلما تنهل
ونسبق عامنا المقبل

• • •

٢ ـ مذكرات واهنة :

دوائر التحريم أسوار من الأجساد والحجاره
ـ تحرسُ من ؟
ـ سلالةَ الذهب
والدمع نيء بلا مصب
ـ تحرس من ؟
ـ جذوع غابة من الأنياب والعفن

والطفل عيناه بكارة وفوقه الدانات ناضجات فى فروعها
والطيبون يسكنون جوعهم
يناشدون القاتل الثأر لهم
والدم يرسم الخرائط

وعن يمين وشمال
قوم يلونون أحرف الكتب

واللحم حى فوق مشرحه

والبيت والمسجد والممر أضرحه

. . . . « لابد مما ليس منه بد »

هل يلبس الرجال ثوبك القديم
فتحبل الأحشاء مرة بحكمتك
وتحزم الحقول خصرها بقبضتك

* * *

٣ ـ حكاية عارضة :

صلت له الأرقام فى دفاتر التوفير
والكرش المدينة التى تتوه فى زحامها الأكف الخشنه
يطالع التاريخ والتفسير
والرأس قبعه

وكلبه معه ،

يأكل « عجة » و « بسكويت »

وزوجة تقرأ فصل الرفق بالقطط

وأسفل الشباك من تموت جائعه

• • •

٤ ـ مشهد مبكر :

الديك ذلك الاذاعى الممل

طور نفسه فبات فى المخادع

مستنفراً ساعاتنا الصغيره

فأنجبت عقارباً عقارباً . . تلدغنا

. . . تمنحنا الإشارة الأخيره

• • •

٥ ـ البدايات المنتهية !!

أن نملك الخبز مع المهاره

نروض الأوقات والمسافه

فتذهل الرياح خلفنا بشاره

وا أسفا : وصولنا لحافة المغادره

فالأفق حولنا استداره

وآخرون يمرقون حافراً وراء حافر
لا نعرف الذى عرفناه ، و « كيف ؟ » « طلسم وحيله »
فالحب عملة فى الكون — مستحيله
والشمس تطلع اضطراراً
والأرض قرفصاء عند بؤرة الزمن
تحصى دموعها
والحـــلم . . يفقد المدارا .

(١٩٧٥)

فايتون يتحدث (*)

« مهداه الى الشاعر الاسكتلندى الكسندر سكوت ردا على قصـــيدة غنائيــة الجمال او « سيدة العالم » التى تمجد «العنصرية»

فايتون .

عاد من اللحد الأسطورى عظاماً تصطك

.. قلباً تلمع فيه الأنياب الزرقاء

صدراً منسوجاً من أحقاد تفتح حضن الموت لكل الأحياء

طفلا لعبته وهداياه (البلى ، النابالم ، الذرة والفانتوم)

عاد ليزرع فى شطآن النور عيون النار وجمجمة الحب

يصرخ فى الليل : أنا عدت ليعبدنى الشاعر .. يمسح أقدامى من بالشرق ومن بالغرب ..

.. عدت لترفعنى أجنحة الأيام

لأحلق فوق سماوات الأحـــلام

(*) فايتون : الابن غير الشرعى للرب أبوللو فى الأســاطير الاغريقية ـ عاش شريدا ومحتقرا حتى سمح له أبوللو بقيادة مركبة الشمس فكاد يدمر العالم فقتله رب الأرباب زيوس .

منكم أذبح آلاف الآلاف أمام الهيكل كفاره
وأقيم على بحر الدم عرسا للأرض المنهاره
أملأ كأسى « فى صحة » آلام تنهض
. . وظلال الجنة تجهض
وسحاب الفرحة يصرعه سوط القيظ
كان وياما كان
كان التشريد قلادة أمسى ، فليلبسها أحفاد التاريخ جراحاً ومذله
« فأبوللو » بارك صلك الرحله
وأقود أنا مركبة الشمس وأمضى ربانا أملك مفتاح الظلمات وشتلات الفجر
أسمعكم . . وأنا أضحك من مرأى قتلاكم
« ستسجل مركبتى آخر يوم فى عمر الكون ؟ »
صدقا . . لا أهتم
لكن . . إياكم
أحرقت أنا كتب التاريخ لكى لا يقرأ فارسكم ،
. . أن « زيوس » أباح دمائى حتى تشرق شمس الغد .
. . حتى يزهر فوق الشاطىء حب يمتد ويمتد . .

فأنا أكره لون الحب وأرعى جنيات الرعد
وأنا أحـــلم بالكون بقاع النـــار الطوفان
وأنا « يام* » القرن العشرين
. . لكن . . في بحر مجنون
لا يعرف إلا لغـــتي

١٩٧٨

(*) يام : ابن نوح العاق .

نقوش جرح فى وجه الزمن

١ - ترتيلات الدم :

هـــذى المـــره
لا تبحث عن لونى
فأنا جوهر كل الألوان
لا تهتم بحجمى
فجهاتى الأصلية أقطار الأرض وأضلاع الإنسان
وأنا سر مندمل فى رايات سلام بيضاء
وأنا أتأهب حين يحط على معصمك القيد
- وحين يغذى الجوع شرايين الأمعاء
أصبح قربانا يتوالد كل عشيه
.. فى أحلام الصبيان وفى ثدى صبيه
تحفظنى ذاكرة الأرض المحنيه
تتقلدنى فى الأعمـــاق صدور المـــاسات
ولأنى نبض التكوين العـــائد
فى طرقاتى يلتزم الموت يمينه

أغرق أعشاش الحزن البائد

أنبض أكثر

أدرك أنى أتطهر

أسقى الرمل لتشهر أشجار البارود سواعدها

أأسر هذا اليوم وأختار له العنوان . . .

— أحاول ألا أنزف

اتلكأ صفاً يتكاتف تلو الصـــف

أتجلط أو أستشهد عند السطح

وأعود كرات بيضاء وحمراء . . دماً آخر —

— يقبض رسغ الرشاش ويقذف

وتجن رياح

تهدى بعضاً من رمل يهدأ فوق الجرح ضماده

ويجىء صباح

فوهة الدم تمتد إلى جوف الصحراء أكفا للقبر ، تنقب

— عن مجنون أخرجها من قمقمها

تحكى أمواج الذكرى

إنى أسطع فى أوراق البردى شجراً

. . أنبت مدنا . . آلهة صغرى

• • •

٢ ـ الجرح يحدث صاحبه العربى :

مر مساء محترق الضوء
شهقت أجنحة الطير
فالنقش الأحمر فوق الصدر
أنطق سفرا فرعونياً نام طويلا فى جلد الصخر

• • •

حين تبسمت تبسمت
خالستك . . والألم الجامح . . أخفيت
فالطلقة خلف الطلقة تعدو عجباً وولاء
يتقدمها وهج الزمن القابع فى عينيك
أقرأ فى كفيك :
بصمات المنجل شحم الآلات ورائحة الخضرة
وعلامات من خوص المسجد
وجبينا يصعد

• • •

تحسبنى عرقاً يدك المبتله
حتى حدّث عنى لونى

عجباً . . حين تلامسنى . . فى التو تخالسنى

— تبنى أهرامات النار

* * *

صنعتنى نفثة حقــد

جرحاً فى لحم عــربى

ما أخطأ شيطانى القصد

إلا أنك حب فاض على شفتى فأحببتك ،

لم أملكك . . ولكنى ملك لك

صرت التعويذه

لـمـا شئت عبــوراً

ضم ذراعيه البحر

واغتات عيون الشر

لـمـا شئت مروراً

أمسى عِهْنا منفوشاً حصن القهر .

* * *

أحببتك

فأنا لعيون ترتاح على صدر النيل محبه

وأنا « تَبّه »

تكسر عنق الضربه
أحيا فى جسد الأيام
وأنا قدر الغضبه
يركع عندى طرداء الأقوام

• • •

آخـــر همسى
قبل ذهابى فى أوراق مفكرتك
ألحظ وجنات الأفق الخجلى
تنتظر الخبز لمن لا يملك حقلا
ترجو علماً أعلى
وبراقاً من فـــولاذ
فالقمر تساءل أسيانا
كيف الزائر كان سوانا . .

ـــ ـــ ـــ

(اكتوبر ١٩٧٣)

رحلة الحروف

أراك فوق صهوة التاريخ لابساً ثوب القدر
وعازفاً على الز ناد أصبعك
تسكت موسيقى الوجود . . تسمعك
وتحمل الملائك الأنغام . . فى الطباق السبع تنشر الخبر
والجن فى خبائه السحيق يحسدك
فكيف لا تقبل الحروف كفك المباركه ،
. . . وتحضنك
تتيه بانتمائها إليك
. . . وتسكنك

* * *

تستيقظ الحروف . . تنبهر
يعلو جبينها ،
تنضم بعضها لبعض ثم تنتثر . .
تود أن تكون كلمة تطاول النجوم والبحار والخطر
يامنّة السماء تمسح الغضون عن قلب الحجر

. . كفّارة خطاك .

فالذنب كان فى أقدامنا سُعَار جمر

والآن يغتفر

فأنت فى الآفاق مهرجان نور مقتدر

وأنت خصب الأرض ينفث الحياة فى الثمر

فأين لى بأحرف جديدة ،

تحكى انفجار الصخر حينما يمسه منك البصر

وتبحث الحروف . . كيف خطوك الحسور ينتصر

(٦ أكتوبر ١٩٧٣)

نقوش على الشرخ الأكبر

رغم الصبح الميت والليل الأحمق
أدمنت هواك المطلق
داريت دموعك عن سخرية الناس
حاولت . . تعاطيت الأمنية الرعناء :
« أن نحتد لنختار خطانا نحو المجد المرهون على عتبات قرون خمسين
ونكون الفكرة للفكرة والوجه لذات الوجه المطعون »
لكن بذور الخوف المرة تدفع غصني عنك بعيداً
ونعيق وحشي فوق رقاب الكلمات
حتى أذنيك بقايا حفريات

* * *

وكثيراً ما تنسين
أني ولـــدك
أني أرتاد بلاد الفقراء فقيراً وطعامي من ثمرات الأحـــلام
أني أستأذن غصّات الأيام

حتى أرتاد جحيم الشهداء
لأكون نشيداً فى أفواه التعساء

* * *

جسدى العظمى اللحمى الدامى عند شريط المــاء
يتمدد بين الرمل ويعرق هجساً وحماساً يحمله القيظ
إلى جنيات الأرض نوادر خرقاء
أحفر فى الرمل الخندق حتى تردمه أقدام اللحظات
استغرب قولا مأثوراً كالصلوات
— منذ الشرخ الأكبر لم نهزم
فى الملحوظات :
— اللعبة لم تبدأ بعد

(٥ يونيو ١٩٧٢)

الوحشية الطيبة

يحدث الألم . .
بأننا نعـــادى . .
مرآتنا التى أبت تنافق
لأن وجهنا مدائن العذاب
والظل من نعانق . .
نكون فى أبهاء أغنياتنا فوارس الفوارس
شاهدة أسرة الظلام أننا نمارس . .
نتيه فى الصباح بانتصارنا العجاب

* * *

استحلب المراره
أنبش فى ذاكرتى المنهاره
تعودنى زغرودة ترصع المسامع
العرس والعروس والفتى على مشارف الدقائق المختارة
مهلا . . فهمة الرياح فى الحوارى . .
تهدى الرجال فرحة المغامره

إذا بقبلة الفتى مغادره
والسمر الصليل والمناوره
والموت أمنيات كل سهم ،
مضاجع جموعهم
يا وعده . . الفتى يسير صولجانه الحراب
قتلاه مِهْرجان
ينظم من عيونهم أهلة تُدق فوق كل باب
أو لعبا تمنح للصغار
ولوحة تُشاع للرمايه . .

* * *

دامعة من النجوم نجمة
قد سمعت من روحه المبتسمة
— وصيتى : عيونهم تشاع للرمايه
حتى تكون للأطفال أمتع الهوايه
فالأرض قد تعطفت بالتمر والأعناب والزيتون ، لم تكن بخيله
أهوى عذابهم . . ملوناً مناظراً جميله
قوس قزح
سشمته يمتد فى السحاب

أحبيته تخطه السياط فى أجسادهم
وزخرف الساحات باقات الرقاب

* * *

ليدرك الصغار
أن الأمان فى عيون زائر الدمار
فنزرع الجنات من فواكه الجحيم
أقدامنا تختال بالحناء فوق سندس الجماجم
لكى تزين كل مزهرية شريحة من لحم هؤلاء
تكون فى الافطار والغداء والعشاء ،
.. مشهياتنا المفضله
يكون أعذب الكلام الجرح فاغرا والقنبله
فنذرف الدماء عنبرا
والأرض تنتظر ..
.. ما تنبت الدماء من ثمر
تحبل بالآلام والهوان والحذر
تظل تنتظر
الولد الذى صلاته خطى على المعاصم المفحمه

قربانه قوائم القتلى
ينظم من جفونهم أهله
ولوحة تشاع للرمايه
ومن دمائهم يعلم السقايه .

صلوات ما قبل الوصول الى المعبد

١ ـ ذاكرة الماضى :

حقاً . . لم أشبع جوعى من ثدى يروى طفله
لم أمضغ كبداً يكرهنى
لم أترك نعش غريب أتعب أهله
لكن عرقى ينساب مع البحر الغادر
لايسْتَقِ حتّى قوقعة عطشى فوق الشاطىء دون هويه
فالقهر يعشش فى أحشاء الأنصات
ــ أمرك يا هــذا
أصنع من كثبان الرمل الكثبان الرملية ؟
أسجن حسى رهن طعام بارد
وأزور خلجاتى من أجل وسام يغرى حسد البلهاء
تذكر ؟ لمــا استأذنتك كى أخلو لله
وجمعت عيونى والأطراف المحنيه
فإذا المحراب حشائش تعلو تاج الرأس
والباب صرير يسخر من أدران الأمس

إنْ يسألنى ربى

— حين تصلى من أنت ؟

هل وجهك ما أعطيت ؟

سأجيب — نسيت

قهقه فى الصدر عــذابى

ملهاة جنون أن ينتحر الضوء الخابى

أن أتحول أطرافاً وحواساً خمس

* * *

أحــلم

أبحث عن وجهى المدبر

أسعى للطوفان المستأخر

ينزعنى عن أُثداء الجنيات المحلوله

لايبقى إلا مئذنة ،

تركع حول المئذنة الأنوار .

تسبح وتسبح فى موجات الأنهار

يتعبد طفل غسلته الأمطار

وفتاة عصماء تعاود ترتيل الاذكار

وأمير وذليل فقدا أمسهما فانطلقا فى ملكوت الأطهار

— — —

٢ ـ قدم فوق طريق اللحظة :

أمشى
أدهش لشراع مثقوب يخطر فى عرض النيل
والبنت تلملم فتنها ، والجلباب تغازله النسمات
لا تدرى أن العربات السكرى تقتات دماء فى لون الحرمان
تقتل ولداً يبتسم فقيراً يلعب أول فصل فى ملحمة الملك سليمان
حسب الولد البوق الناغم لحناً لا إنذاراً فى سمع الإنسان
وعلى شط الرغبة صوت يهمس للاحياء الموتى
يرفض منطق هر يتزاحم حول فتات البيت
يرفض . . منتظراً دوره
فى طابور لم يتحرك مره
والجسد عظام تكسوها الحسره

* * *

اجـــرى
دائرة الأشياء ، الألوان ، الأبيض والأسود لاتتوقف
الموج الممتد المنحسر السامى نحو الشمس لينهزم إلى البدء
الجمهور يصفق للرجل القافز أسلاك النار
والجارس يلعن باقى العمر بآخر كاس يشرعها فى أوجه الاستمرار

. . كل يحيا فى حضن الوهم ، يظن الدر رؤاه المنهاره

. . فى كل جبين أقدام الغدر إماره

وأنا أجرى فرحاً وحزيناً ، مرآة للماره

أدرك أنى عنهم صرت غريباً

مبتعداً عن وجهى ولسانى

منتبهاً لحروف تنبض فى شريانى

حتى بات الصمت ضجيجاً ، والضجة خرساء النبره

وتلاشى فى أذنى صخب الأشياء

. . إلا أنى أسمع أكثر

تتخثر أصوات الكون ، وتتكسر أجنحة الأصداء

أتحسس نغماً يصاعد من عمق الأبد اللامتناهى

أرضى . . أتطهر

تتساقط أزهى المرثيات معراة بكماء

* * *

٣ ـ من خاطرة الضوء الجسور :

أتدبـــر

فالرؤيا غامت ، هامت ، لا أنظار هذى المدن الخرسانية

لا أمسى درويشا لكنى أبصر أكثر
اقرأ طلسم نفسى
بعيون الشوق أرى الأبعاد بحجم القبضه
تصبح أقوى من ظلمات الأرض الومضه
أعرف أن الألم ، الندم ، الضحكات . محطات تُعبر
فخرجت على عجل من جلدى المدموغ بأختام الصبر السحريه
ومسحت غبار الغفلة عن وجه قصاصات تحمل قسمات الميلاد
الأولى
البحـــر
ملاحاً لا يملك بحر التجربة المجهول
موال رحيلى
مامات الولد المقتول
ما انتصر على الحزن نديم الكأس
مافاز بزاد الخـــلد الهر المتراحم
وطفقت أقيم صلاة الأمس
وأشيد من كثبان الرمل جداراً

« ١٩٧٢ »

اللمسة الناقصة

تشابهت تذاكر العزاء
وانصرفوا — على الأسى — إلى لقاء
فارتدت القهوة فى الإناء
كل مساء أعبر المقاعد الخرساء
أصافح الهـــواء
منذهلا — أرسيت انقاض البناء
فساعة الميلاد ساعة الاجهاض فى حفائر المدينة الشوهاء
ادفع فى البحر سفينتى من قبل أن تتم
فيبدأ الرحيل نحو اليم
رب العجالات أنا خلتى حطام خلق
ذريتى غير مخلقه
ترقد كائناً فكائناً يفقد منطقه
تشرع فى وجهى وثائق اتهامها على حبال مشنقه
يا ولدى المشوه الأمير
ويا ابنتى الممسوخة الأميره

أطلب فرصة أخيرة
فجدتى كانت تحب قصة مكرورة :
عن سبع مرات سعت دموع الأم
والرمل جمر ساخر أصم
بين الصفا والمروه
فانهزم الحصا أبان سره
وفاض بئر زمزم
وليت منه قطرة
فخطوتى ليست تعاد
والسعى ليس غير مره
كأننى رب المصائر
فكان ان قعدت فى وسط المعابر
مستدفئا على حريق ساهر مسافر
ممزقاً أوراق لعبتى وخالعاً عباءة المقامر

قراءتى فى قصة العدم
لو أننى أكسر دورة الزمن
أخرج من إسار عمرى فجأة ،

بدون رغبة ، بغير ذكريات
أبعد عن مسافة الحياة والممات
أسبح في الفراغ أبدا
أصبح حفنة من التراب لم تمت
تستر عرى جثة بلا كفن
. . أكون لم أكن .

* * *

أسائل المازوت والدخان كفه تصول في ملامح السماء
ورعشة الهوان في عيون طفلة تبيعنا الثمر
أسأل من سيسكنون وجنة القمر
عن جنة أملك سرها
عن لمسة في بنية الوجود أستطيع رسمها
فالعين منى ولا من يدرك الغنيمة
حتى أبي يحسب حورس الوفي فكرة قديمة
في داخلي يزرع بالاشفاق صبار الهزيمه
أنسى وينسى هؤلاء . . .
حكاية الشاطر حسن
يهجع في حضن الأميرة العشيقه

أنسى وينسى هؤلاء
طفولتى شيخوخة التاريخ منذ كانت الخليقه
وآخر الحقيقه
إن مت عاقراً يجف الكون بعدى يسقط التاريخ
بغير قنبله
يرعى الموات الأرض لا تكون سنبله

• • •

اقرأ فى نصوص نطقى على مفارق الوعد ، الانتظار
« يا ولدى المشوه الأمير
ويا ابنتى . . خلاصنا أن أبدل الخطوة خطوتين
أن يطلع الفجر الغريب كل يوم مرتين
وإن رجعت دون جنتى الوليده
لن تخسروا أغلى الحروف . . حكمة العذاب والمحبة المفقودة . . »

(١٩٧١)

النزهة بين شرائح اللهب

مهـــلا

مهـــلا يا أحبـــابى

أستأذنكم لحظات أجمع فيها نفسى

لأخاطب شيئاً فى أعماقى محنى الرأس

لأعود إلى أول يوم فى عمر الكون

لأرى بعيون الحـــلم الفجر الأول

لمـــا نطق الطين وسار على أرجل

فأغنى أغنية بحروف من أول ضوء

من أول قطرة ماء تنبض فى الأرض

أغنية من بسمة حواء وآدم

لما عاشا فى أفياء الروض

أغنية آخرها دمعات خالدة فى أحداق الأيام

لما أعوز جدّينا الرفض

* * *

مهلا

فالقلب نوافذ أشواق خائفة وعواصف
والصحوة ملاح راجف
وقديما كتب الحكماء
(العمر خطى ومواقف)
وخطايا بندول مُرَّهَق
وضجيج مخبول زائف
وكيانى وجه مهجور
فيه بقايا أشجان وبقايا فرحه
وضمير أضحك جرحه
نعم مغرور ،
.. أشتاق إليه فيهرب منى
فأعود إلى دارى
تحملنى قدم مجهدة الاصرار
وأرتب فى صمت أفكارى
رجلا سأكون
ويكون قرارى
أو ليست أقدامى أقدامى
أدفعها إن شئت أمامى ؟

نغم لن يسرقنى من نفسى بعد اليوم
اقسمت بكل قسم ؛
لا عودة للنغم الهارب

* * *

ولأغلق من خلفى الأبواب
أسدلت عليها أستار تراب
بعثرت عناكب فوق الأعتاب
والمزلاج قوى فولاذ
والآن :
أسترجع أنشودة صيف
.. استشعر دفء شتاء
أستروح نسمات ربيع
أرتاح على صدر مساء
أرتاح لامشى فى صبح الغد
إنسانا ان حياه الناس يرد
.. يحمل قلبا هو باقة ورد
قلبا هو للحب الطيب مجد

حتى لا تستغرق ذاتى ذاتى

* * *

أواه أتى النغم الملعون
فاذا المزلاج دموع
والأبواب سواجد
ودمائى رقصات للنغم العائد
والحلم النورانى تباعد
وطنين همجى يتصاعد
فبكانى متكئى لما ودعت مكانى
والغصات تطل من الجدران
وعلى الحائط صورة طفل
.. يملك عشرة أعوام
لم تك تملكه الأيام

* * *

وجريت أحيى النغم الأشقر
أسترحمه أترجاه يجيء إلى القلب ويسمر
استرحمه الملعون هروبا يهرب :
يقذفنى بالقهقهة العريانة

آه مثلي لا يقدر أن يغضب
فالوجه سطور مهانة
وجه كرمه الله ، وصاحبه خائنه

* * *

فإلى أين أعود
والنغم الساحر محتال الومض
لن أغلق باب الدار
لا يغلق بابا إلا أبناء الضعف

(١٩٦٨)

اللبلاب يسقط

أراه عند حافر المدينة

ثيابه رهينة

يستأذن التراب كي يرص فوقه تهرؤ الخطى

بالأمس ودع الرجاء فى المقابر المثلثة

فنز من جبينه السؤال :

فر البراق .. أين طائر المحال ؟

* * *

اراه عند ساقها السمينة

يشم عطرها الرخيص مشرعا فتوله

يأتى الشتاء بيته الفقير والأبناء يصلبونه

وزورق الحياة دونه

* * *

اراه عند ثديها مشكلا تكوينه

يضخها حنينه

أحلامه دانية القطوف

وفى ظلال ركن

عمى القطاط رجْنها ضراعة للدفء والسقاء
فللأم ربما تعود باللحوم واللبن
وربما تطول ربما
فالأم تنتشي بحضن قط الحارة المسن
تلوك زبد ليلها .

* * *

أراه يجمع الاجابة الحزينة
يخلع قلبه ودينه
وعند منحدر
تناثرت نقوش مسجد صلى به الرماد والحجر
والناس والتاريخ يسألونه
عن أحرف يسعلها دما
وبرزخ يفيض ظلمة وعلقما .

(١٩٧٥)

القادم

أيها القادم حلت شعرها ساكنة العام الحزين
تسرق الأيام من خلف الزمن
وتنام الليل فى البرد وأغصان الشجر
هى تحكى أيها القادم عنكا
ساعة تمسك فرشاة قديمة
وتدارى دمعة الأعباء
لم يعد يصلح دمع العين للغفران صكا

* * *

الشوق اليك

لما تبصر أعيننا أكثر

فنرى القدرة فى الظل وفى الضوء الأخضر

ونرى القدرة فى الضوء الشاهق أو فى جحر النمل

تفتح فى القلب نوافذ فجر لا يعتل

نسمع فيثارا ينشدنا لحنا لا تدركه الكلمات

نقترب إلى ملكوت الخالق .

نغترف من الحكمة ما يفرش درب الصعب أزاهيرا

تبنى أيدينا حجراً فى بيت فقير يحلم بالمأوى

وتصير الرحمة قانونا أقوى

نطعم شهدا من كلمات الرحمن

نعرف أن القوة بعض حروف من كلمات القرآن

لاسمك يا ربى .. تخشع جبهة هذا الكون وتلك الأفلاك وتسجد أجنحة الريح

والشوق إليك الغاية فى كل زمان

وجه

وجه صديق يشبه وجه القاتل والمقتول
من منكم ياأشباهي كان صديق الحق المأمول
لويرفع كفا : ؟
لنصفق .. نمشي صفا ..
وجميع الأيدي ممتدة
في كل يد قفاز يخفي وعده
وأصابع كفي مرتدة

أفراح الموتى

سقطت آخر قطرة ماء
لم يلعقها ظمئى
والقيظ تمشى فى أعصابى
وعلى الأفق ترهلت الأضواء
وأتانى الليل على استحياء
يدرى نبئى .

• • •

لمسير الكون نواميس
(يتبقى الأصلح)
فلماذا أمسى ولماذا أصبح
خطأ .. جئت وجودا لسواى تفتح
خطأ .. دقات القلب المترنح .

• • •

ماذا فى البارحة الشمطاء عزيزى ؟
أمل يمنحنى تأشيرة ساعات أحياها
والآن وقد بان محياها

أدركت بأني شيء لا شيء
عبء يحمله عبء

* * *

أول يوم أعرف ما تعنيه لفافة تبغ
نطلب منها الأنفاس فتعطى حتى تفنى
عجبا تحكى الطفاءة ما نفقد من معنى

* * *

قال وفى العينين نهار
سخطا ووداعا للأفكار
لكن : توا مات وفى شفتيه حروف شعار

* * *

جلجل فى صدرى صوت شائه
يبست أحـ م اليوم التائه
والتمعت فى فكرى أفراح الموتى
حتى برقت من أدغال الماضى كلمات :
(حارسك الله بنى)
ان حقا تقبل يا أمى الدعوات
فانا أنتظر على مهل

(١٩٦٩)

لما تنصفنا الكلمات

كم أتمنى
ألا أصبح مأوى للاحزان
حتى لو تستعبدنى الضحكات
فالضحك عطاء :للإنسان

* * *

وضحكت .. ضحكت
فى كل زمان ومكان
أيضا .. لما ضاع غدى
أيضا .. لما خان صديق
فالقصة ياقوم قديمة
تتوالى نصرا وهزيمة

* * *

صحكاتى تجرى فى كل الأرجاء
ودعاء من بعد دعاء
رباه

أعط المجنون الصمت
مجنون ؟؟؟؟. سامحهم يارب

• • •

لكن .. حقا لست سويا
فكأنى أحمل فى صدرى جنيا :
ولفرحى طعم مالح
والآن : أحدثكم من آخر أبراج العقل
فأعاهدكم أن أحيا كالعقلاء
بالكلمات المخنوقة تحكى بحساب
وعذاب ينجبه فى القلب عذاب
وهنا يبقى أن تنصفنا الكلمات
فإذا بانت فى عينى للحزن متاهات
قولوها — هذا مجنون

(١٩٦٧)

الى مدينة الذهب

« النار والدخان والقلق »
« وزورق الاعمار لا يعود »
فتنجب الأحزان فى عينيه
ويخفق المجداف فى يديه
ويعول النداء
لا غير ساعدى قضاء
فصاحبته موجة عنيدة
تراقصت زعانف الأسماك
تبارك الوليمة الجديدة

• • •

وجاء بيروس الحبيب بالصباح
وصاح بالرفاق :
خطوى لكن جناح
إلى مدينة الذهب
فنامت الأقدام ترتقب
تحلم بالعجب

• • •

ودورة قصيرة وعاد
تزفه الزهور والجياد
وقبضة على مفاتيح المدينة
لكنما المواكب الحزينة
تهمس فى جنازة النغم :
ما أفدح الثمن
ياليتنا كنا له الجناح والقدم

* * *

وانتهت العيون للعيون
ودار بينها تلاوم الفئران فى المصائد المذهبة
فاعتنق الضمير والضمير
وارتحل الدخان والقلق
وتاهت الظنون فى منابت العرق
والان ياأحبتى
القبلة السمحاء والعناق
وكل واحد من الجموع يحكم الوثاق
يقود فى يمينه الحياه

(١٩٦٦)

باختصار

حبيبتي
وجودنا الصغير
نراه عاشقا ، مباركا جلالك النضير
فهذه ملكة الزهور
رسالة بعثتها اليك
أودعتها مشاعر الشباب
وقبلة تنافس العبير

* * *

وحينما جئت ولامست يديك
تراقصت لهيفة الرغاب
وأملت تلاصق الشفاه
تحس روعة الحياة
وعندما تساق للأنوف ،
برغمها ، وقلبها العطوف
تنتابه انتفاضة الحنين

فتنتهى لرحلة الذبول
وتحسر احمرارها الخجول
تبين فى جنازة الافول
أوراقها القتيلة الرغاب

— • • •

وأنت يافتاه
بوجهك الملىء بالحنان
عنان ترقبان
خداعنا ظواهر الأمور
فما لنا اثنتان من عيون

• • •

تحدق العيون حين تقصف الرعود
وليس قبلها تهزنا الرعود
ونمسح الأنوف بالورود
وأين ما تمنت الورود

• • •

إلى متى رفيقتى نسير فى الغبار
يشهدنا الطريق

نمارس ابتسامة عجوزا

ونسأل النسيم عن صديق

* * *

حبيبتى

أنا وأنت من جماعة البشر

لنا بيان لا أظنه سحر

أقولها إلى دونما مقدمات باختصار

نغرق السحاب فى البحار

ونوقظ الضياء فى النهار

ونرقب المساء

ونرتمى بحضنه الحنون

* * *

مساؤنا سعادة خجولة خفوت

وصبحنا يزغرد الكلام لا يحن للسكوت

وتبسم الثغور للمنون

فنحن فى الحياة لا نموت

(١٩٦٢)

الخلاص

أحلامنا الشقراء ياجزيرة العشاق والاقداح
كم التقى فيك المساء بالصباح
وأطعم المحروم سلة من التفاح
ولم تمت نضارة السنين
وكل ما تحبه متاح
فى لحظة تكون
قارون والرشيد
وخاتم الملك الفريد ،
يغير الزمان والمكان كيفما نريد .

• • •

رحماك ياجزيرة الأحلام
أما بلغت الرشد ؟
لأعبر البحار
أصد لعنة للشمس والأمطار
لا شيء .. غير أننى أطلب زورقا

ووجبة من القديد

ولتغلقي من خلف موكبي موانئك

أخشى على قلبي يجرني إليك من جديد

• • •

وحان ابحاري مع الحياة

رأيت لونها الغيوم واستغاثة الرياح

رياح ذلة الجياع والحفاه

رياح عنجهية الآلهة الصغيرة

وبسمة كليلة الجناح

• • •

والموج قص قصته

فعدت للاحلام رامع الجسد

أقول لن أعود للكمد

ونلت من حارسة الجزيرة الحسناء قبلتين

معذرة ومغفرة

ولتضحك الليالي مقمرة

لا صوت .. أم صمم

لا ضحك .. لا نغم :

وفرحتى مزورة
وخاتم الملاك انكفا
تخنقه الدموع والصدأ
وصرخة تضخها حناجر الملأ
أنت الجبان وحدك)
فكان أن فررت خفية وفى يدى محبة سجينه
أطلقتها على مدى المحاور الحزينة
جدفت نحو كل جرح
.. تصافح الأمواج مركبى
ويلعب الحنين بى .
همست يا جزيرتى الزهراء
نسيت أن أقول بعد اليوم لا لقاء

(١٩٦٦)

وداعا لأرض النفوس البوار
نفوس لها ضفة واحدة
ودفة مركبها فاقدة

* * *

وداعا لعشة أحلامى السابحة
على موجة من نهود
وقلب يوزع دقاته فى الجليد
وداعا لكثبان أوهامى الغاربة
لكوخ الشباب
فليس لها من ظلال
فهذى الرياح ذرت قشة فى سفوح التلال
وأشلاؤه فح منها الأنين
تقول غدا
سيلتئم الكوخ نورا بريئا

هنالك خلف الزمن
إلى لا زمن

* * *

وداعا لهجس القلق
وعجز العرق
وداعا لها ..
لغات الدموع
وكوم السأم
وركن الندم
وصفارة فى ضمير أصم

* * *

وداعا لأمسى
لعشرين عاما مضت من حياتى
سنون ضباب
وحفل ذباب
وأسطورة ما لها من أمير
وغدارة فارغة . .
(يتكتك) أعصابها أصبع لى ضرير

* * *

أيا ذكريات
لعنتك عهدا
إلهى به حارس للطوارئ
لجرح مفاجىء
إلهى به لفظة ميتة .

(١٩٦٣)

حلم عيد الميلاد

أتى على مشارف الصباح ..
طفل بلا صراخ
حتى ولا بكاء
وبطن أمه لم يتبع المخاض بالدماء
كذا جبينه مطرز بحبات العرق
وفى عيونه تمرغ القلق
وأقسموا أن ابتسامه ائتلق
فى غمرة المخاض

* * *

وليدنا كفاه عامران بالدواء
والأرض عاقر تحن للشفاء

* * *

وليدنا مساؤه يعانق النهار
وقلبه محبة بلا قرار

* * *

وذات يوم صارخ الأنواء
حكى الصغار حول موقد الشتاء
بان حارة العجوز
جدارها أصابه الدوار
فعاد للتّراب صاغر النثار
لما رأى صديقنا الحديد
لما رأى الوليد
حتى عصا العجوز لم تعد لتخويف الصغار
أمست تعينها على المسير

* * *

أنا الشقاء لا سواى للأحزان صاحب
ترنيمة أطلقها فلاح قريتى
أورثها له أبوه حين مات
فى حقل سيد حياته نكات
وفى ظهيرة ملولة الرياح
وبعد أن تجمع الحصاد
فلاحنا بكى وناح
تقبضت يداه فى الغلال والتّراب

حتى أتته بسمة رحيمة الشفاه
تقول يارفيقى
لك الذى بذرت
لك الذى حصدت

* * *

صحا الصباح والطيور هائمات
تحدث الزمان عن عجائب الزمان
فهذه مآذن هلالها دخان
ودارت الطيور فى المعابد
فطوفت بناسك وساجد
وحيرت لما رأت
كلا امام آلة مجنونة الشهيق

* * *

فى حارة العجوز أقبل الصغار
ومن غدت سفينها إزار
وحاملوا الفؤوس والسنابل
وصانعوا الرغيف والقنابل
يسائلون عن صديقهم متى ولد
أجابت الزهور وهى ترقب النجوم
— يوليو العظيم شارع الشموع

(١٩٦٣)

أغنية على مفارق الافتراق

إذاً كذبت
وبالسكوت والملالة اكتفيت
فحينما تخطرت خطوتك المعتذرة
انفتحت نافذتى البيضاء صدفة مقدرة
ورفت الأضواء حول قلبى الشجى بابتسامة منوره
نسيت جفنى الكسير
وصرت لا أسير
ألا وفى العيون هالة من وجهك النضير
وفى جوانحى تعيش غنوة تعطرت من شفتيك
وفثغرك الرقيق صمته نغم
وآه .. يامنار الشوق فى تعاقب الصباح والمساء
أقسم أن يحل فى الهوى القسم
أنى إذا كذبت
فانى إذا ابتعدت : ذكرياتك الطعم والمرايا
أظل أعشق البقايا

وأجمع الظلال

يظل فى ربوع غربتى تمثال حسنك الذى أبيت أن يفارق

.. عونى على قيظ الدقائق

فلتقبلى حبيبتى .. قلبى وأبعاد مشاعرى مراحك

ولتفتحى كتاب أغنياتى

وداعبى عودى الذى يخاصم الألحان فى غيابك

كذبت فادعيت أن النفس بالأمان أولى

والنفس بالأمان أنت أو لا

ووحدتى فى وحدتى إنتهاء

كيف نفاقد الفؤاد أن يصلى

فوحدتى إلى جوارك الرجاء والدعاء

(١٩٧٢)

مغيب الشروق

أخاف أن أعود ياهوى
فدمعة تظل حائرة
خلف العيون الصابرة
وتغمض الجفون فوق هالة الندم
وكلمة على الورق :
« حبيبتى ياصمت خافقى وما نطق
إذا تفجرت دموع من عشق
تعاسرت مفاتن الكلام واختنق
يهون حينها مالم يهن
فأدمع الرجال تطلب الثمن
حتى الهوى يصبح لوحة قديمة ومهملة

* * *

وأنت ياقتام لحظتى
لما أتيت طائعا ، مسلما ، مسالما
وكل ما وعيته نظمته تمائما

رأيت بسمة مكدرة

والحسن الأحزان مَعْبرة

عند السلام لا سلام

يداك كالسجين يلقى قدره

حتى الحوار

حروفه مغلولة منكسرة

* * *

بالامس يا هوى

وهبتنى حلمى

والان كم تدمى

حسى بحد الشك

وهذه الأوهام فى سمائنا فلك

والأمر بات لك

فكيف لم توص حبيبتى

من قبل أن تمنحنى إبتداء فرحى

* * *

حقاً أراك الآن تبسمين

لكن بسمتك

نسيجها الطلاء والظنون

والجرح ليس يرحمك

فلترحمي بالله مبسماك

ثقيلة عليه هذه الرسوم

ولا صدى لها

إلا ظلالها

إن كان في أرض الهوى غاب الشروق

لكل واحد طريق

فأرض الله واسعة

ومنه رحمة لمن يضل مرة ويستفيق .

(١٩٦٩)

ليست أيامى

يتيم أنا
فليس الزمان زمانى
وإلا فأين يداه ،
تقود ان عمرى لشط غبى
بلا موجة عاشقة
تلف التراب الصبى
فيضحى وحولا تغرر بى

• • •

يتيم أنا
ولا تعجبوا
فقلبى احترق
وعمرى ورق
نفوس تقامر حتى يشح العرق
تراق على منضدة

• • •

زمانى أبى
أصيح أكاد أحطم فى حيرتى مركبى
أبى لم يجىء
أبى يختبىء
بأحشاء غيب صدىء
وإن لم يكن
فليس سوى أنه قد مضى
زمانى مضى لم أره
توارى بلا مقبرة

* * *

فلا تعجبوا
إذا أنجب الميتون بنينا
إذا الطفل كان أبوه جنينا
فإنى أسير
بكفىّ قلب ضرير
يشاء ارتواء فلطمت الريح فاه فخاف وأطبق
وعيناه صارختان عطاشى تحملق
تكاد تمزق
ومن يومها لا تزال الرياح تصفق
فليس الزمان أبى كيف ترفق . ؟ ؟

(١٩٦٤)

الحصــــاد

جئت ألقاك ولا ألقى سلامى

باسما أقسى من الحزن ابتسامى:

فالمباراة ابتسامات عريضة

والقلادات على الصدر دماء الفقراء

ومسوح الزيف فى مد الحثالات طقوس وفريضة

* * *

سندبادا كنت فى فلك الطفولة

أزرع الأحلام فى الأرض بأقدامى النحيلة

تشرق الشمس لخطوى ، ويضىء الليل من حولى سهوله

وإذا ما هل ميقات حصادى بمراسيم الرجولة

منجلى الداعر أخليت سبيله

فاشربى أحلام عمرى من دموعى المستحيلة

* * *

فارس اللحظة رث الثوب فى يمناه بعض من حوار

ذاب حلمى صرت أعدو من رصيف لقطار

شاهرا بالضحك إعلان الإدانة
داهشا من أنفك المدسوس فى دير وحانه

* * *

فى جبينى من أبى زيد الهلالى علامة
وبقلبى من حكايا الأنبياء اطهر سر « وكرامة »
غازلت جنية نجمى فأنسته مقامه
فهوى فى سكرة العشق إلى بحر الندامة
عن جوادى .. بات فى جوفك لم تبق عظامه
عن حسامى .. كلما ينثر عرقا ينبت اثنان فأغنى عند أعتاب السآمة
يادعاء الوالدين الشوك فى درب السلامة

* * *

خذ جنيهاتك جوعى خبز زادى
مارشوت الله كى تبصر عيناك وفى الصدر قتامه
كلما تسمن تبلى
وغدا يحكون عن شىء مُسَجى فى صناديق القمامة
وجهه وجهك إن فكوا لثامه

(١٩٧٠)

فهـــرس

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٧٩/٥٢١٧

ISBN ٩٧٧ ٢٠١ ٧٩٣ ٨